



ليس كما تعتقد...! (2)

المقالات

خطبة جمعة

2026-06-19

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مقدمة:

أيها الإخوة الكرام: في موقفٍ أخروي، تنقطع فيه الأنفاس، وتبلغ القلوب الحناجر، وبشيب لهوله الولدان، يُحسّر إلى النار من استحقّ دخولها، فإذا وصلوا إليها، إذ بأذانهم وأعينهم وجلودهم، تنطق شاهدةً عليهم بما عملوا، فالأذن تُحدّث بما سمعوا، والعين تنطق بما رآوا، والجلود تشهد بما فعلوا، وأمام هذه الشهادة العظيمة والحجة الدامغة، يقف هؤلاء مُستنكرين، مُتعبّين، يقولون لجلودهم: لِمَ شهدتم علينا؟ فيأتيهم الجواب: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء.

أمام هذا المشهّد المهيّب، يخطر في بالك وبالي أن نسأل، ما الذي أوردهم هذا المورد؟ وما الذي أوصلهم إلى جهنم؟ وما الذي جعلهم يستبيحون حُرّمات الله في الدنيا؟ إنه تصوّر مغلوط، فكّر مُنحرف، عقيدة باطلة، سبّها ما شئت، أرايتم إلى الفكرة ماذا تصنع؟ قلنا في الخطبة السابقة وشرحنا، الفكرة تولد الشعور والشعور يوجّه السلوك، فالمبتدأ من الفكرة، العقيدة الصحيحة تولد سلوكاً صحيحاً، والعقيدة الفاسدة تولد سلوكاً، بل تولد مئات السلوكات المُنحرفة، كلُّ انحرافٍ في العقيدة، لا بُدَّ أن ينعكس انحرافاً في السلوك، ما الذي أوردهم هذا المورد؟ ولماذا استحقوا النار؟ ولماذا نطقت جلودهم عليهم بما كانوا يعملون؟ لقد ظلّوا أن الله لا يعلم كثيراً مما يعملون، فشعروا بالاطمئنان لكنه اطمئنان الساذجين، فانقلب الشعور إلى سلوك، وهو ارتكاب المعاصي واستباحة الحُرّمات، وربما استباحة الأعراس والدماء.

اسمعوا الآن إلى الآيات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ۚ قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوِيُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ طُنِجْتُمْ أَنْ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ طُنْجُ الَّذِي طُنِجْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَزْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)

هنا العقيدة الفاسدة، هنا الفكر المنحرف (ولكن طنتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (22) ودلكم طنتكم الذي طنتم يرتكم أزداكم فأصبحتم من الخاسرين)، (أزداكم) أي أهلككم.

الظن بالله أنه يعلم ويقدر سبباً في الاستقامة على منهجه:

أيها الإخوة الكرام أيها الأجاب: إذا ما الذي أهلكهم وأوصلهم إلى النار؟ اعتقادهم السيئ بالله تعالى، سوء ظنهم بالله هو من أوردتهم النار، طنوا أن الله لا يعلم، طنوا أن الله لن يُحاسب، ما دام لن يعلم فلن يُحاسب، والله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِائَةَ أَلْفٍ مِائَةٍ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (12)

(سورة الطلاق)

لماذا خلق الله سبع سماواتٍ وسبع أرضين؟ وجعل الأمر يتنزل بين السماء والأرض، كل ذلك لماذا؟ قال: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) فإذا ما نظرت في عظمة خلقه في السماوات والأرض، أيقنت أنه يعلم وأنه يقدر، هذا الظن بالله بأنه يعلم ويقدر، يكون سبباً في استقامتك على منهجه. أما هؤلاء فقد طنوا أن الله لا يعلم، فما كان منهم إلا أن استباحوا المحرمات، فاستحقوا النار، وشهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. أيها الإخوة الأجاب: من هنا فقد جاء في الحديث الشريف:

{ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ }

(أخرجه مسلم)

من ظن أنه تعالى لن يُحاسب عباده فقد أساء الظن بربه:

لا يأتيك الموت إلا وأنت تُحسِن الظن بالله تعالى، من ظن أنه تعالى لن يُحاسب عباده فقد أساء الظن بربه، ومن ظن أن الله لا يغفر لعباده ولا يرحمهم، فقد أساء الظن بربه. هما طرفا نقيض، من ظن أن الله لا يُحاسب فقد أساء الظن، ومن ظن أنه لا يغفر ويرحم لمن أقبل وتاب إليه، وتجاوز جلي جلاله ويرحم، فقد أساء الظن بربه، وحال المؤمن مع ربه، أنه دائماً بين خوفٍ وطمع، بين رعبٍ ورهب، هذا حال المؤمن الذي يُحسِن الظن بالله، تارة يغلب عليه الخوف منه جل جلاله، لما يرى من تقصيرٍ في جنبه، فيغلب عليه الخوف، ثم يتذكر رحمة الله فيطمع بما عند الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ رَوْحَةَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُبْسِرُونَ فِي الْخَبْرَاتِ وَبَدْعُوتَنَا رَعْبًا وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا حَاشِعِينَ (90)

(سورة الأنبياء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ (56)

لا يأمن عذاب الله ولكنه يرجو عفوهُ وغفرانه، حتى إذا ما دنا الأجل، غلب عليه الطمع، وغلب عليه الرغبة بما عند الله تعالى.

لما احتضر معاذ بن جبل رضي الله عنه، جعل يقول: "اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لطمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالزكب عند جلق الذكر".

"اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم - علي فراش الموت في اللحظات الأخيرة - وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجري الأنهار - أي لحفرها - ولا لغرس الأشجار ولكن لطمأ الهواجر، ومكابدة الساعات - في ساعات الظهر، عند الصيام، عند الصلاة - ومزاحمة العلماء بالزكب عند جلق الذكر"، "اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك".

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، إذا أصبح أو إذا دخل دار الخلافة، أمسك بلحيته ثم قرأ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَعْتَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ (207)

(سورة الشعراء)

أرأيتم إلى عمر رضي الله عنه، كيف يُعزِّز الفكرة في داخله لتكرارها، يُعزِّز الفكرة، ما الذي ينفع أن تُمضي سنواتٍ من عمرك مُمتعاً بالحياة كما تُحب، ثم يأتيك ملك الموت وأنت غافلٌ عن الله؟ ما الذي يُغني عنك ما تمتعته في الدنيا؟ ماذا يفعل معك كل ذلك أمام الله تعالى؟ (أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَعْتَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ).

فلما حَصَرته الوفاة عمر بن عبد العزيز، سَمِعته فاطمة زوجة، سَمِعته يقرأ قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَلِكِ الدَّارِ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)

(سورة القصص)

من عاش على فكرة: (أَقْرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَعْتَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ) فإنه يموت على: (يَلِكِ الدَّارِ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ).

الإنسان أحياناً يغتر بعفو الله وبرحمته:

أيها الإخوة الكرام: الإنسان أحياناً يغتر بعفو الله، يغتر برحمته، والله تعالى يُعاتبه يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6)

(سورة الانشقاق)

أرأيت إلى طالبٍ ظنَّ سوءاً لخبرٍ أخبره طالبٌ آخر، طالبٌ من الطلاب مُهملاً، لا يعياً بدروسه، قال له: هذا الأستاذ في الجامعة لا تدرُس مادته، قال له: لماذا؟ قال له اذهب إليه قبل يومٍ من امتحان المادة، وخذ له هديةً قيِّمةً ويُعطيك الأسئلة، اغتَرَّ الطالب، ترك الدراسة، أهمل المذاكرة، وقبل الامتحان بيوم، عمِلَ بنصيحة هذا الصديق السَّيِّئِ، فحمل هديةً ثمينة، وطرق باب المُدرِّس وقال له: أحبيت أن أهديك هذه الهدية قبل الامتحان بساعات، يُشير إليه أن هات الأسئلة، إلا أنَّ المُدرِّس كان شريفاً، وكان أميناً على ما أُوْتِمِنَ عليه، فزجره ونهره، ورمى الهدية في وجهه وأغلق الباب، وقف الطالب مُطرباً، انتهى الوقت، لا مجال للدراسة، رسب في العام، ذهبت العلامات، اغتَرَّ بالأستاذ ثم عَلمَ خلاف ما اغتَرَّ به، والله تعالى القتل الأعلى.

عندما يُمضي الإنسان حياته في المعاصي والآثام، وهو يقول لك: الله تعالى يغفر ويرحم، كلمة حقٌ لكنه عوَّل عليها بالباطل، فأطلق لنفسه العنان، فلا هو صلَّى ولا هو صام، ولا هو أدَّى حقوق العباد، ولا هو استقام على منهج الله، ثم تفاجأ عند الموت بأنَّ الوقت قد انتهى، وبأنَّ الله سيُحاسبه ويُعاقبه.

(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) الله كريمٌ وعفوٌّ، لكن إياك أن يعزَّك كرمه وعفوهُ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَّتْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْعَفْوَ الرَّحِيمِ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)

(سورة الحجر)

بَنَّهُمْ عَنْ هَذِهِ وَعَنْ هَذِهِ مَعًا، حَتَّى لَا يَغْتَرَوْا.

يجب أن نربط دائماً بين العقيدة والسلوك وبين الفكرة والعمل:

أبها الإخوة الكرام: نعود إلى ما بدأنا به، يجب أن نربط دائماً بين العقيدة والسلوك، بين الفكرة والعمل، خمسون آية في كتاب الله تعالى، "الذين آمنوا" العقيدة، "وعملوا الصالحات" العمل، لا ينفصل الإيمان عن العمل، انظروا إلى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، يقول جرير بن عبد الله رضي الله عنه:

{ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنظَرْنَا إِلَى الْعَمْرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْعَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ - لَا تُضَامُونَ أَوْ لَا تُضَامُونَ رَوَاتَانِ صَحِيحَتَانِ - فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا، ثُمَّ قَرَأَ: { وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ } [ق: 39] قَالَ إِسْمَاعِيلُ: افْعَلُوا لَا تَفُوتْكُمْ { (أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجه)

(لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ) هذه عقيدة، نعتقد أننا سنرى ربنا، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (23)

(سورة القيامة)

هذه عقيدة، هل اكتفى صلى الله عليه وسلم بإعطائهم هذه الفكرة؟ تابعوا الحديث: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْعَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا)، ثُمَّ قَرَأَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاصِرٌ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ (39)

(سورة ق)

إِنَّكَ أَنْ تَتَامَ أَوْ تَنْشَعَلْ عَنْ فَرِيضَتَيْنِ يَعْقِلَ عَنْهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ، أَعْطَاهُمُ الْعَقِيدَةَ: (سَتَرُونَ رَبَّكُمْ) لَكِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ تَحْتَاجُ إِلَى سُلُوكٍ، تَحْتَاجُ إِلَى حَسَنِ صَلَاةٍ بِاللَّهِ، حَتَّى تَسْتَحِقَّ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

حديث آخر: يقول صلى الله عليه وسلم

{ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَنْتَطِرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }

هذه عقيدة، غيب، فكرة، فكرة من الغيب، إذاً هي عقيدة، نحن نؤمن أنه سيدخل من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سبعون ألفاً غير حساب، نرجو الله أن نكون منهم، لكن ما هو السلوك؟ قال: **(هُم الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ)** أي لا يطلبون هذه الرقى غير الشرعية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، فيها خُزَعِلَاتٌ، فيها طلاسَمٌ، فيها كلامٌ غير مفهوم **(لَا يَسْتَرْقُونَ)** قال: **(وَلَا يَكْتَوُونَ)** كان أهل الجاهلية يعتقدون بأن الكُفَّ بالنار يشفي، وجاء الإسلام ونهى عنه، **(وَلَا يَنْطَلِقُونَ)** أي لا يتشائمون، وهذه كلها تُنافي التوكل على الله، قال: **(وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)** فَمَنْ تَرَكَ الْأُمُورَ الَّتِي تُنَافِي التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ، مِنْ خُزَعِلَاتٍ، وَمِنْ كَلَامٍ، وَمِنْ تَشَاؤُمٍ، ثُمَّ تَوَكَّلَ عَلَى رَبِّهِ، هُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

إذاً هناك عملٌ، هناك عقيدةٌ وهناك عملٌ، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبِيحَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

الإيمان يحتاج إلى عملٍ **(وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)**.

يقول صلى الله عليه وسلم:

{ أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ }

(أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد)

مَنْ؟ هل هو أشدُّهم تمسُّكاً بالفكرة؟ هل هو أكثرهم دراسةً لكُتُبِ العقيدة؟ **(أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا)** عقيدة وسلوك.

{ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: جَائِزٌ لَا يُؤْمِنُ جَائِزُهُ بَوَائِقُهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ:

شُرُّهُ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

(بَوَائِقُهُ) أي شروره، إذاً عنده إشكالٌ في الإيمان، في العقيدة، لأنَّ عقيدته لم تنعكس سلوكاً في الإحسان إلى جيرانه.

لا بُدَّ دائماً من الاهتمام بتصحيح التصورات والأفكار:

أُتِيَ الْكِرَامَ: حَدَّثْتُمْ فِي الْخُطْبَةِ السَّابِقَةِ، أَنْكَ إِذَا قَرَأْتَ فِي الْقُرْآنِ: "أَمْ حَسِبَ"، "أَمْ حَسِبْتُمْ"، "أَيْحْسُونَ"، "فَلَا تَحْسَبَنَّ"، فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ يَرِيدُ أَنْ يُصَحِّحَ لَكَ مَفْهُوماً مغلوطاً، وَضَرِيحٌ عَلَى ذَلِكَ أَمْثَلَةٌ، وَأَضْرِبُ الْيَوْمَ أَيْضاً أَمْثَلَةً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفُوتَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (4)

(سورة العنكبوت)

هل يعتقد من يعمل السيئات التي لا ترضي الله، هل يعتقد أنه سيفوته عقاب الله؟ ما هذا الحكم السيئ؟ (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَاتَهُمْ (29)

(سورة محمد)

أنجس أئها المناوق رفا من امتلاً فليلك بالحقد والحسد والغرور، أنحسب أن تقضي دون أن يخرج ما في قلبك فيظهر على جوارحك، سيخرجه الله تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْعَاتَهُمْ) حكمة الله تقتضي أن يخرج أصعانه، وأن يكشفه، وأن يبين جرمه، وأن يبين ضعيفته وحفده، فما يستقر في القلب لا بُدَّ أن يطهر على الجوارح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

(سورة الجاثية)

من سوء الظن أن تعتقد أن الله يُعامل المسلم كالمُجرم أو يُعامل المُحسين كالمُسيء؛
من سوء الظن أن تعتقد أن الله يُعامل المسلم كالمُجرم، أو يُعامل المُحسين كالمُسيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)

(سورة القلم)

يريد أن يفعل ما يحلو له، ثم يظن أن الله سيُعامله كما يُعامل المُحسين، مستحيل، للمُحسين مُعاملة وللمُسيء مُعاملة، لا يعني أن المُحسين لا يُبتلى، لا يعني أن المُحسين لا يُصيبه في الدنيا من بلاء الدنيا ما يُصيبه، وقد أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه مُحسين له عند الله مُعاملة، له عند الله سكينته يُلقبها في قلبه، له عند الله جنة يُطمئنه بها في الدنيا، ثم تنزل الملائكة عليه عند الموت، ثم يراها بأب عينه بعد وفاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)

(سورة المؤمنون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَبْجَسُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرُكَ سُدَى (36)

أَنْظِنِ الْإِنْسَانَ أَنْكَ مَخْلُوقٌ عَيْتٌ؟ تَقُولُ لِي: مَعَاذَ اللَّهِ، أَقُولُ لَكَ: أَرَبِي سُلُوكُكَ؟ مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَى الْخُرْمَاتِ وَلَا يَتُوبُ، مَنْ يَتِمَادِي فِي الْمَعَاصِي وَلَا يَرْجِعُ، هُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ خُلِقَ عَيْتًا، وَأَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ، أَمَا لَوْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةِ، فَإِنَّهُ سَيَعُدُّ لِلْمَلِيُونِ قَبْلَ أَنْ يَظْلَمَ إِنْسَانًا، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَظْلَمَ إِنْسَانًا وَهُوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ سَيَرْجِعُ إِلَى اللَّهِ (أَفْحَسِبْتُمْ أَنَّمَا كَلَفْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمُ الْإِنْتِنَا لَا تُرْجَعُونَ) يُصَحِّحُ اللَّهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ يَقُولُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ □ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)

(سورة المؤمنون)

أن يخلق الناس عبثاً (لا إله إلا هو ربُّ العرش الكريم).

لا بُدَّ دائماً من الاهتمام بتصحيح التصورات والأفكار:

أُيْهَا الْإِخْوَةَ الْكِرَامِ: هَذِهِ الْخُطْبَةُ وَالَّتِي سَبَقْتُهَا، تَهْتَفَانِ مَعاً إِلَى الْإِهْتِمَامِ بِتَصْحِيحِ التَّصَوُّرَاتِ وَالْأَفْكَارِ، وَالْمُرَاجَعَةِ دَائِماً لِمَا نَحْمَلُهُ مِنْ أَفْكَارٍ، رُبَّمَا تُوَدِّي إِلَى سُلُوكَاتٍ لَا يَرْضَاهَا اللَّهُ تَعَالَى وَلَا رَسُولُهُ، حَتَّى تُصَحِّحَهَا فَيُصِحَّ الشُّعُورَ، وَيُوجِّهَ السُّلُوكَ بِالشَّكْلِ الْأَمْتَلِ، وَحَتَّى نَقْرَأَ الْقُرْآنَ دَائِماً، وَنَحْنُ نَتَلَقَّسُ فِيهِ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يُصَحِّحُ اللَّهُ فِيهِ تَصَوُّرَنَا عَنِ الْكُونِ، وَعَنِ الْإِنْسَانِ، وَعَنِ الْحَيَاةِ.

أُيْهَا الْإِخْوَةَ الْكِرَامِ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّأَ إِلَى غَيْرِنَا وَسَيَتَخَطَّى غَيْرِنَا إِلَيْنَا فَلِنَتَّخِذْ جِذْرِنَا، الْكَيْسَ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِقَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزَ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، وَاسْتَغْفَرُوا لِلَّهِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِهِ الْوَلِيُّ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

بيان بعض النقاط في الأمور التي شهدها بلدنا في الأيام الأخيرة:

أُيْهَا الْإِخْوَةَ الْكِرَامِ: شَهِدَ بِلَدْنَا فِي الْأَسْبُوعِ الْمَاضِي، جِرَاكاً مَطْلَبِيّاً فِي بَعْضِ الْمُدُنِ وَالْأَحْيَاءِ، مَطَالِبُهُ تَحْقِيقَ الْعَدَالَةِ، وَمُحَاسَبَةَ الْمُتَوَرِّطِينَ وَالْمُجْرِمِينَ، وَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ الْآتِي:

أولاً: الْعَدَالَةُ حَقٌّ مَشْرُوعٌ لَا يَسْقُطُ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يُسْقِطَهُ إِلَّا أَوْلِيَاءُ الدَّمِ، وَمَنْ وَاجِبَ الدَّوْلَةَ شَرْعاً وَعُرْفاً أَنْ تُنْصِفَ الْمَظْلُومِينَ، وَأَنْ تُحَاسِبَ الْمُجْرِمِينَ، وَهَذَا لَا خِلَافَ فِيهِ.

ثانياً: طَرِيقَ الْعَدَالَةِ يَكُونُ عِبْرَ الْقَضَاءِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِنَازِلٍ أَوْ انْتِقَامٍ، هَذَا كَلَامُ دِينِ أُيْهَا الْكِرَامِ نَدِينُ اللَّهِ بِهِ، لَا نَقُولُهُ إِلَّا لِأَنَّ نَدِينُ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، لِأَنَّ النَّارَ وَالْإِنْتِقَامَ لَنْ يُحَقَّقَ الْعَدَالَةَ، وَإِنَّمَا سَيُحَقَّقُ رَدَّاتٍ فِعْلِيَّةً مُتَفَاوِتَةً وَمُتَبَايِنَةً، تُوَدِّي إِلَى فِتْنَةٍ وَخِرَابٍ، لَا يَجُوزُ شَرْعاً مَا يُسَمِّيهِ الْفُقَهَاءُ الْإِفْتِنَاتَ عَلَى الْقَضَاءِ، أَيَّ أَنْ أُخْذَ حَقِّي بِيَدِي، أَوْ أَنْ أُتَحَوَّلَ أَنَا إِلَى قَاضٍ أَوْ مُنْقِذٍ لِلْحُكْمِ، عِنْدَهَا تَكُونُ الْفَوْضَى، وَهَذَا الْأَمْرُ مَعْرُوفٌ لَا يَجْهَلُهُ عَاقِلٌ، وَعِنْدَهَا نَفْتَحُ بَابَ لِفْتِنَةٍ لَا تُبْقِي وَلَا تَدْرُ.

الأمر الثالث: تَعْلَمُونَ أَنَّ الْأَفْ الْمُجْرِمِينَ، سِتَّةَ آلَافٍ مُجْرِمٍ تَمَّ الْقَبْضُ عَلَيْهِمْ، وَبُيُومِيّاً يُعْبِضُ عَلَى مُجْرِمِينَ جُدُدٍ، سِوَاءً مِنَ السَّجَّانِينَ، أَوْ مِنَ الصَّبَّاطِ، أَوْ مِنَ الْجُنُودِ، أَوْ مِنَ الْمُتَعَاوِينَ، يَوْمِيّاً يُعْبِضُ عَلَى أَعْدَادٍ جَدِيدَةٍ، وَلَا بُدَّ مِنْ وَقْفٍ لِلْمُحَاسَبَةِ، وَهَنَّاكَ إِجْرَاءَاتٍ قَضَائِيَّةً.

أَنَا أَمْتَمُّ مِثْلَكُمْ، أَنْ يُمْتَسَكَ وَلَا يُسْأَلَ وَلَا أَيُّ سْأَلٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ أَحْسِنُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108)

(سورة المؤمنون)

لِأَنَّ سْأَلَهُ احْتِرَامٌ لَهُ، وَأَنْ يُؤَخَّذَ فُوراً بِالنَّارِ، لَكِنْ هَنَّاكَ قَوَانِينِ، وَهَنَّاكَ مِنْ بِنَظَرِ إِلَيْنَا وَبِرَاقِبِنَا، وَهَنَّاكَ أَشْخَاصٌ عِنْدَهُمْ مَعْلُومَاتٌ، فَكُلَّ يَوْمٍ تَتَكَشَّفُ خِيُوطٌ جَدِيدَةٌ لِلْجَرِيمَةِ، فَلِنَتْرِكْ الْأَمْرَ لِلْقَضَاءِ لِأَخْذِ مَجْرَاهُ، وَبُحَاسِبِ وَيُعَاقِبِ، حَتَّى لَا تَفْعَ إِشْكَالَاتٌ كَبِيرَةٌ، وَحَتَّى لَا نَهْدِرَ الْإِنْجَازَاتِ الَّتِي حَقَّقْنَاهَا، نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى الْعَدْلِ، لَكِنْ بِحَاجَةٍ مَعَهُ إِلَى الْحِكْمَةِ، وَإِلَى وَجْدَةِ الصِّفِّ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى وَطَنِنَا وَبِلَدْنَا، لِأَنَّهُ لَا قَدَّرَ اللَّهُ، لَوْ أَنْجَزْتَ الْبِلَدَ إِلَى فِتْنَةٍ، وَهَنَّاكَ مَنْ يُرِيدُ ذَلِكَ، وَهَنَّاكَ مَنْ يَتَرَبَّصُّ، وَهَنَّاكَ مَنْ يَنْتَظِرُ أَيُّ جِرَاكِ، لِيَكُونَ فِيهِ مَوْجِهُاً وَدَاعِماً مِنْ أَجْلِ إِحْدَاثِ الْفَوْضَى، فَعِنْدَهَا سَتُصِيبُ الْجَمِيعَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً □ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ (25)

(سورة الأنفال)

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنا، واكفنا اللهم شرَّ ما أهَمَّنَا وأَعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسُّنة توقُّنا، نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا.

اللهم إِنَّا نسألك الجنةَ وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ وعملٍ.

اللهم فإرجِ اللهم كائيف الغم مُجيب دُعاء المُصْطرين، رحَمَن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنتَ ترحمنا، ارحمنا برحمته من عندك تُغينا بها عَمَّن سواك.

اللهم ارحمنا فأنتَ بنا راحم، ولا تُعذِّبنا فإنك علينا قادر، والطُّف بنا وجميع المسلمين فيما جرت به التقادير، ودبِّر لنا فإننا لا نُحسين التدبير.

اللهم اجعل بلادنا أمناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، فَرِّج عن المُستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، فَرِّج عن إخواننا في عَزَّة وفي فلسطين، فَرِّج عن إخواننا في السودان.

اللهم إِنَّا نسألك أن تُطعِم جائعهم، وتكسو عُربانهم، وترحم مُصابهم، وتؤوي غريبهم، وأن تجعل لنا في ذلك عملاً مُتقبلاً وأن تغفر لنا تقصيرنا فأنت أعلم بحالنا.

اللهم وُقِّ القائمين على بلادنا لما فيه مرضاتك، وللعمل بكتابك وبسُنَّة نبيِّك صلى الله عليه وسلم، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، إنك وليُّ ذلك والقادر عليه، والحمد لله ربِّ العالمين.